منهجية المعجم المفهومي للمصطلح العلمي

مسايرة للترجمة العربية لمستجدات العلوم الكونية

محمد البياز
أستاذ التعليم العالي بكلية الطب بفاس
أخصائي طب الجهاز التنفسي و مدير مركز طب النوم الجامعي بفاس

إن الترجمة العربية لمصطلحات العلوم الكونية ومن بينها العلوم الصحية ليس مجرد ترف فكري أو لتبقى حبيسة الكتب ومجالا للنقاش العقيم الذي لا يفضي إلا إلى فوضى مصطلحية. إن الهدف الأساسي هو تلبية حاجيات المستعمل من طلبة وأساتذة في تدريس الطب والعلوم الصحية وأطباء ومهنيي الصحة لتسهيل التواصل مع المريض المغربي في إطار التربية الصحية لدى المرضى. بفضل الله سبق أن نشرنا منهجية ترجمة دروس الطب إلى اللغة العربية والتي أفرزت عدة أطروحات تتناول دروسا نظرية في علم الأعراض والأمراض للجهاز التنفسي ودروسا تطبيقية في الملف الطبي. ومن خلال تجربة توليد المصطلحات في الأطروحات السابقة اتضح لي عدم وجود منهجية موحدة نتج عنها غزارة مصطلحية فوضوية وتعدد الترجمات للكلمة الواحدة دون مراعاة معيارين أساسيين وهما الاختصار وسهولة التداول بالإضافة إلى عدم استنفاد كل آليات اللغة العربية وعدم التنزيل التطبيقي. لذلك ارتأينا أنه من الضروري وضع منهجية واضحة لتوليد المصطلحات العلمية العربية قابلة للتعميم على مختلف العلوم الكونية وقادرة على مسايرة ما يجد فيه بشكل ممنهج وموحد. من هنا نبعت فكرة المعجم المفهومي للعلوم الطبية وهو ضروري لتكميل وتنقيح ما سبق من ترجمات مصطلحية أو ترجمات للمقررات الطبية آملين أن ينزل الإنتاج للتداول سواء في تدريس الطب أو تدريب الطلبة في التداريب السريرية في كلياتنا ومستشفياتنا.

ما هو المعجم المفهومي؟

هو معجم يستنبط المصطلحات العلمية انطلاقا من المفهوم العلمي للمصطلح الأعجمي المسرود باختصار ثم مترجم إلى العربية. هذا المفهوم المترجم يمكن من إيجاد المصطلح العربي الأقرب دلالة والأكثر اختصارا لفظا والأسهل تداولا.

يتم الاستنباط بالنظر أولا في مخزون التراث العربي العلمي القديم والمعاجم العربية الأصيلة ثم استنفاذ آليات اللغة العربية من دلالات الأوزان الفعلية والمعاني البلاغية وآليات أخرى كالنحث والإبدال والاستعارة.

لماذا هذه المنهجية؟

إن أغلب الترجمات تعتمد على الترجمة الحرفية اللغوية للمصطلح الأعجمي دون النظر في مفهومه كما أن مصدر المصطلحات الطبية الواردة في المعجم الطبي الموحد وردت بمنهجيات متعددة وفي كثير من الأحيان يصعب إيجاد طريقة توليدها وللترجمة الحرفية اللغوية عدة مساوئ نسرد من بينها:

1. عدم الأخذ بعين الاعتبار بالمعنى العلمي المقصود
وبالأخص إذا كان المصطلح الأصلي الأعجمي يعاني أيضا من ذلك النقص ويحمل دلالة لا تلائم المفهوم الآني للمصطلح مثل كلمة vein يقصد بها حاليا الوريد و لكنها في أصلها اللاتيني لا تحمل هذا المعنى بل تحمل معنى عرق.

2. الميل إلى الحشو في الكلام عند الترجمة خاصة إذا قام بها من ليس معنيا بتداولها ومن أهم أسبابه الطبيعة الإلصاقية للغة الأعجمية مما يجعل الترجمة الحرفية تولد مصطلحا مركبا ومعقدا قد يولد كلمتين أو أكثر لترجمة كلمة واحدة فيصعب التداول بين أهل الاختصاص مثل encéphalopathie اعتلال الدماغ عوض كلمة واحدة "دُماغة" بوزن فُعالة للدلالة على المرض. وهذا يمكن معالجته بإعادة صياغته بآليات التوليد في اللغة العربية انطلاقا من مفهوم الكلمة الأعجمية.

3. طبيعة المترجم: فكلما بعُد المترجم عن الإلمام بالاختصاص العلمي المرتبط بالمصطلح وتطبيقاته اليومية سواء في تدريس الطلبة أو التواصل مع المريض ولم يكن ملما بعيوب الترجمات السابقة صعب عليه الوصول إلى المفهوم المراد وتلبية حاجيات المستعمل من طلبة وأطباء ومهنيي الصحة والتربية الصحية لدى المرضى.

4. عدم تلبية حاجة المستعمل: فالمستعمل سواء كان طالب طب أو طبيبا يحتاج إلى مصطلح دال على المعنى المقصود مختصر وسهل في الاستعمال ومرن قابل للتصريف. إن لم يمنح له ذلك المصطلح بشكل ممنهج خلال التدريس مال خلال الاستعمال اليومي إلى اختلاق مصطلح آخر يناسب مراده فمثلا نجد أن طلبة الطب اختلقوا مصطلح normocarde للدلالة على examen cardiaque normal لكونه مختصرا رغم عدم تواجده في المعاجم الطبية.

من يقوم بعملية الترجمة المفهومية؟

إن المختص في الفرع العلمي المراد إيجاد مصطلحاته يلعب دورا محوريا في العملية لتسهيل عمل الخبير المصطلحي، فعليه توفير المفهوم العلمي للمصطلح الأعجمي. هذا المفهوم يورد مختصرا ولكن شاملا لأهم الدلالات المتداولة على أرض الواقع وليس الدلالات المستقاة فقط من الكتب المرجعية العلمية. لابد للمفهوم أن يحتوي على الكلمات المفتاحية التي تسهل استعمال الآليات اللغوية العربية فمثلا لما نسرد appareil في المفهوم فمقابلها يكون آلة التي يقابلها وزن اشتقاقي عربي هو اسم الآلة. مثلا فمن حروف "ن ف س" المرتبطة بعملية التنفس نستنتج اسم آلة قياس النفس باستعمال وزن مِفْعَال فنولد مصطلح مِنْفاس ترجمة ل spiromètre.

المتدخل الثاني هو الخبير المصطلحي الذي يقوم بترجمة كاملة للمفهوم المقترح إلى العربية باحثا عن الكلمات المفتاحية التي سيستعملها لاستنباط المقابل العربي للمصطلح مع إمكانية التواصل مع المختص في الفرع العلمي لإمكانية إعادة الصياغة اللغوية بما يكفل تسهيل الترجمة والحفاظ على المفهوم و تلبية حاجيات المستعمل.

مراجع الترجمة المفهومية:

تحتاج الترجمة المفهومية إلى عدة مراجع وأهمها:

1. المراجع العلمية الطبية التي يجب أن تحتوي على المفاهيم الطبية المتداولة والتي ينقحها الأخصائي العلمي لتتلاءم مع الحاجيات اليومية للاستعمال وأيضا لتسهل عملية الترجمة المفهومية. ويفضل استعمال المقررات المدرسة حاليا بالفرنسية بكلياتنا كمصدر للمصطلحات المراد ترجمتها لكونها سبق تنزيلها لأرض الواقع مما يجعلها أكثر ملاءمة للحاجيات التدريسية البيداغوجية والتواصلية مع المريض.

2. كتب التراث العلمي العربي في الاختصاص العلمي للمصطلح مثل القانون في الطب والحاوي في الطب بالنسبة للطب والتي تحوي كثيرا من الكلمات التي لم تعد مستعملة رغم موافقتها لحاجياتنا ومنها ماهو أصل الكلمات الأعجمية المستعملة حاليا فمثلا **الشلل الوجهي** نجده في المعاجم الطبية العربية في حين أن كلمة **لَقْوَة** تفيد نفس المعنى ونجدها في الكتب التراثية الطبية إضافة إلى تداولها لدى عامة الناس في الدارجة المغربية. إن هذه الكتب متوفرة حاسوبيا في المكتبة الشاملة.

3. أمهات معاجم اللغة العربية التراثية: التي تحوي آلاف الكلمات كثير منها يحوي معاني دقيقة لا نجدها في اللغات الأخرى و قد هجرها العرب بفعل غزو اللغات الأعجمية وبعضها مازال متداولا في اللهجات العامية دون استعمال أكاديمي مثل كلمة **النهجة** للدلالة على dyspnée و التي لا تتداول إلا في العامية المغربية و لا توجد في الترجمات الأكاديمية رغم أصالتها و تواجدها في معاجم كلسان العرب.

4. مخزون القرآن والسنة: اللذان يحويان كثيرا من الكلمات ذات مفهوم علمي والتي لها أصل أيضا في المعاجم التراثية مثال **التراقي** مفردها **تَرْقُوَة** و تعني clavicule.

5. مخزون العاميات: من الكلمات العربية الفصيحة بعد البحث عن أصلها في معاجم اللغة والدارجة المغربية الأصيلة التي لم تخالطها الفرنسية والمتواجدة في القرى والبوادي وتراثنا المغربي مثل الملحون و سبق أن ذكرنا كلمة لقوة مثالا عن ذلك.

6. الترجمات السابقة: وأهمها بالنسبة للطب المعجم الطبي الموحد الذي تصدره منظمة الصحة العالمية.

يسهل الآن استعمال المراجع التراثية بفضل البحث الحاسوبي في أحد أهم المراجع الرقمية التراثية وهي الموسوعة الشاملة التي تصدر بنسخة حاسوبية وأخرى متوفرة للهاتف المحمول.

الآليات اللغوية للمعجم المفهومي:

ردا على من يتهم اللغة العربية بافتقارها لما باللغات الأخرى من سوابق وأواسط ولواحق، فإن اللغة العربية بطبيعتها الاشتقاقية تتوفر على عدة آليات تمكن من توليد مصطلحات جديدة تمكنها من مسايرة التطور العلمي وما ينتجه من مغردات أكثر بكثير من إمكانيات اللغات الهندوروبية الإلصاقية. نستعرض أهم

ما يمكن استعماله من هذه الآليات وخاصة ماهو مرتبط بالميزة الاشتقاقية للغة العربية والتي تمكن من ربط الأوزان الاشتقاقية بعدة دلالات تلائم منهجية المصطلح المفهومي وتولد أكثر بكثير مما تولده الطبيعة الإلصاقية في اللغات الهندوروبية.

1. الصيغ الاشتقاقية الإسمية: أهمها والأكثر تداولا المصدر واسم الفاعل واسم المفعول وأسماء الآلة والمكان والصفة المشبهة وصيغة التصغير وصيغة المبالغة وصيغة النسبة. ونجد صيغا أخرى نعمل على إحيائها في إطار مصطلحات الطب ومن بينها صيغة المرض وصيغ التضخيم وصيغ القلة والكثرة.

2. دلالات أوزان الأفعال: وهي التي ساهمت في توليد الأفعال عند العرب وهي كثيرة ونسرد من بينها مثالا **تفاعل** للدلالة على المشاركة و**انفعل** على المطاوعة و**استفعل** لطلب الشيء. من الدلالات التي تحملها الأوزان الفعلية الانفعال والخلو والامتلاء والتشارك والتحول والاضطراب والهيجان...

3. النحت: وهو أن نعمد إلى كلمتين أو جملة فتستنبط من مجموع الحروف كلمة واحدة تختصر دلالة الأصل ويدخل فيها أو قريبا منها التركيب المزجي. هذا النحت يمكن من الحصول على مصطلح قابل للتعريف بإضافة "**ال**" و قابل للإعراب و إضافة **باء النسبة** وهذا مما يحتاج إليه في تداول المصطلح بين أهل الاختصاص ومن أمثلة النحت الشائعة في العربية البسملة (بسم الله الرحمان الرحيم) و الحوقلة (لاحول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم). عارض انتشار هذه الآلية الكثير من اللغويين تخوفا من الخروج عن قواعد اللغة القياسية. إن هذا التخوف يزول إذا علمنا أن أغلب هذه المصطلحات التي يضطر إلى نحتها تبقى حبيسة لدى أهل الاختصاص العلمي ولا تستعمل إلا نادرا بين أهل اللغة.

الأمر الثاني إن هذه الآلية أصبحت ضرورية نظرا للكم الهائل للمصطلحات الجديدة المتطلبة لسرعة الاستجابة وخاصة حين البدء في التدريس باللغة العربية للعلوم، وهاته الحاجيات لم تكن معروفة لدى المعارضين لذلك مما ساهم في تأخير إيجاد مصطلحات كثيرة مختصرة وسهلة التداول.

الأمر الثالث أن طبيعة اللغات الأعجمية الإلصاقية يتطلب منا إيجاد آلية مقابلة لترجمة المشتقات المحتوية على سوابق متكررة الاستعمال في اللغة الأعجمية أو مختصرات للمصطلحات المركبة من كلمتين أو أكثر. مثال عن السوابق السائدة: intra-extra-pré-post فتنحت كلمة داخل التي تقابل السابقة intra بحذف الألف الزائدة و اللام الأصلية فيتبقى منها حرفان "دخ" ينحتان مع مختصر كلمة أخرى فنقول مثلا دَخْرِئَوي intra-pulmonaire أو مثلا a– مقابلها لا. مثال آخر: تحت: تحذف التاء تحت الجلد – تَحْجلدي. بين: تحذف النون بين الأضلاع – بَيْضلعي.

الأمر الرابع: طبيعة المستعمل ففي الطب نميل إلى الاختصار في الاستعمال اليومي عند المختص و لا يمكن تشجيع استعمال اللغة العربية العلمي إلا بالاختصار و القابلية لتصريف الكلمات فترجمة extra-pulmonaire حرفيا الموجود حاليا هو خارج الرئة لكن النحت يمنحنا "خَجْرِئة" كلمة واحدة أمكن تصريفها لتصبح "خَجْرِئوي" فأمكن إضافة ياء النسبة.

4. الإبدال يدخل في إطار الاشتقاق الكبير وهو جعل حرف بدل آخر في الكلمة الواحدة مما يمكن من تنويع المعنى ويصلح في الطب للدلالة على مراتب العلل وقلة من استثمروا هذه الآلية لتوليد المصطلحات ويوجد فيها مؤلفات من أهمها ما ألفه ابن السكيت والزجاجي. فمثلا "تَوَتُّر" يقابل tonus بالإبدال نحصل على"تَمَتُّر" للدلالة على hypertonie و"تَفَتُّر" للدلالة على hypotonie.

5. الاستعارة: أي إعارة معنى مصطلحي للكلمة عوض المعنى اللغوي المتداول وقد استعملها العرب لتوليد الكثير من المعاني للكلمة الواحدة والعلوم الكونية تتطلب هذا النوع من الآليات ونجده أيضا بشكل آخر لدى الأعاجم.

6. إعطاء بعض الأوزان الفعلية القليلة التداول معان مصطلحية علمية جديدة: مثلا وزنا فَوْعَلَ وفَيْعَلَ. في الطب نتحدث كثيرا عن البتر ectomie والشق otomie فوزن فوعل نشتقه من اسم العضو للدلالة على القطع وفيعل على الشق. مثال segmentectomie "قَوْطَعة" من قطع و trachéotomie "رَيْغَمة" من رغم جذر كلمة رُغامَى.

7. التعريب: وهو كتابة الكلمة الأعجمية كما تنطق بحروف عربية وتترك كآخر مرحلة خاصة في أسماء الأعلام والأدوية والمركبات الكيماوية.

مراحل استنباط المصطلح المفهومي:

1. إيجاد المفهوم العلمي للمصطلح الأعجمي: يقوم بهذه المرحلة الأخصائي العلمي فيضع مفهوم المصطلح الأعجمي آخذا بعين الاعتبار معايير الاختصار واحتواء المفهوم على الكلمات المفتاحية الضرورية لترجمة المفهوم إلى الدلالات المتوفرة في آليات اللغة العربية وأيضا معايير الحاجيات البيداغوجية للتدريس.

2. ترجمة المفهوم للعربية: ويقوم بهذه المرحلة الخبير المصطلحي مراعيا معايير المصطلح المفهومي و يفضل أن يكون أخصائي المادة العلمية ملما بمبادئ الترجمة لإمكانية مراجعة الترجمة.

3. استنباط المصطلح: تتضمن هذه المرحلة المراحل التالية:

أ. البحث في المراجع التراثية العلمية (وبالنسبة للطب أساسا القانون في الطب والحاوي في الطب) عن مصطلحات تناسب المفهوم المسرود مثل السِّرْسام مقابل المفهوم المتعلق بالتهاب السحايا méningite.

ب. النظر في المخزون العربي الفصيح للعامية: ويتأكد من تواجده في المعاجم اللغوية التراثية مثل الكحة مقابل مفهوم السعال والكحة موجودة في الدارجة المغربية وأمهات كتب اللغة.

ج. البحث في المعجم الطبي الموحد

والأطروحات السابقة التي راعت منهجية الترجمة التي وضعتها سابقا: فإن وجد المصطلح تم التحقق من محافظته على معياري المصطلح المفهومي وهي الاختصار وسهولة التداول ومصدره وإلا تم تعديله وفق المعايير المبتغاة.

د. استعمال آليات التوليد: في حالة عدم وجود الترجمة المناسبة في المراحل السابقة نستعمل الآليات اللغوية التي سبق ذكرها. فنبحث في المفهوم المسرود بالعربية عن الدلالات المتواجدة التي يمكن بها استنباط الصيغ الإسمية أو الأوزان الفعلية المناسبة وإلا لجأنا إلى النحث أو الاستعارة أو الإبدال ويترك تعريب الكلمة أي تركها بنطقها الأعجمي وكتابة عربية كآخر وسيلة للاستنباط.

إن منهجية المصطلح المفهومي تمكن من إيجاد معجم مفهومي لكافة التخصصات العلمية الكونية بشكل موحد وممنهج وقابل للتجديد ومسايرة التطورات العلمية باستنفاد كل المصادر التراثية والآليات اللغوية المتوفرة. هذه المصطلحات تتميز بخاصيتي الاختصار وسهولة التداول وتجنب تعدد الترجمات. فندعو كل من يريد أن يساهم في مشروع التعريب أن يحافظ على هذا المنهاج الذي نطالب باعتماده في كافة أطروحات الطب المستقبلية تجنبا للفوضى المصطلحية وتشجيعا للترجمة العربية للمقررات الطبية. هذه المنهجية قابلة للاستعمال في ترجمة كل العلوم الكونية. إن إعطاء الفرصة للغة العربية كلغة رسمية لبلادنا قانونيا و ماديا هو الكفيل بالاستعمال الآني لهذه المعاجم المفهومية الذي يمكن من تداول هذه المصطلحات وتركيزها لدى الطلاب مما يساهم في التمكين للغة العربية كلغة لتدريس العلوم في بلادنا.

إصدارات

د . مشينيع لحسن

إسهام الأرشيف الطبي في صون ذاكرة مدينة فاس
أرشيف مستشفى كوكار أنموذجا

تقديم
البروفيسور طارق صقلي الحسيني
عميد كلية الطب والصيدلة وطب الأسنان بفاس

2025

د . مشينيع لحسن

حاصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر.
عضو لجنة التراث بكلية الطب والصيدلة وطب الأسنان بفاس.
عضو الجمعية المغربية للبحث التاريخي.
عضو الجمعية المغربية للتواصل الصحي.
صدرت له العديد من المقالات، وشارك في العديد من الندوات الوطنية والدولية.

يُسلّط هذا الكتاب الضوء على الأرشيف الصحي لمستشفى كوكار بفاس، إحدى أقدم المؤسسات الاستشفائية التي أُنشئت مع بداية الحماية الفرنسية، والذي تحوّل لاحقًا إلى جزء من سلطة الأرشيف بمستشفى ابن الخطيب.

تستند الدراسة إلى تحليل علمي لمجموعة من الوثائق المتنوعة والغنية، التي تكشف ملامح التنظيم الصحي إبان تلك المرحلة، وتفتح نوافذ لفهم الأوضاع الوبائية، وأنماط العلاج، وعلاقات الدولة الاستعمارية بالسكان المحليين، من منظور يجمع بين الاجتماعي والطبي.

يمثّل هذا العمل مساهمة في سد فراغ بحثي قائم، ويفتح المجال أمام التفكير في الأرشيف الصحي كمصدرٍ نوعي لفهم تاريخ المدينة والمجتمع والدولة.